(طاعة الوالدين)

الحمد لله رب العالمين أمربالإحسان إلى الوالدين ، وحذرمن عقوقهما والله بكل شئ عليم ، نحمده سبحانه... ونشهد أن لاإله إلا الله القائل : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله الذى قال لرجل استأذنه في الجهاد : (أحي والداك ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد) البخاري ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فيقول الله تعالى :

(وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)

عباد الله المؤمنين : إعتادت الأمم أن تحتفل بعيد الأم فى كل عام ، ففى عالمنا العربي يحتفلون به فى الحادى والعشرين من مارس الموافق بداية فصل الربيع ، وفى هذه البلاد يحتفلون به فى يوم الأحد الثاني من شهرمايو ، وفى الحقيقة أن كل يوم يمرعلى الأم وهي راضية من صنيع أبنائها معها فهو عيد عندها فابتسامتك أخى المسلم فى وجه أمك ، وتقبيلك يدها هو عيد عندها فأعظم البر : **برالوالدين** الذي لو استغرق المؤمن عمره كله في تحصيله لكان أفضل من الجهاد ، الأمرالذي أحرج الذين ينادون بالقيم والأخلاق في العالم وهم أبعد من ذلك بتخصيص يوم لها ، فجعلوا لها يوما واحدا في العام يردون فيه بعض الجميل للأبوة المهملة ، بعدما عجزوا أن تكون الأبوة والأمومة عندهم بمنزلة الدم والنخاع كما عند المسلمين .

نعم معشر المسلمين : فحق الوالدين باقٍ ، ومصاحبتهما بالمعروف واجبة ، حتى وإن كانا على غير الإسلام فلا يختص برهما بكونهما مسلمين ، بل تبرهما وإن كانا على غير دينك ، فعن أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها قالت : قَدِمت عليّ أمي وهي مشركة فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله إن أمي قدمت عليّ أفأصلها ؟ قال : (نعم ، صلي أمك) .

ولم يقف حق الوالدين عند هذا وفقط ، بل تبرهما وتحسن إليهما حتى ولو أمراك بالكفر بالله والشرك به قال تعالى : (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) العنكبوت 8 .

فعقوق الوالدين أيها الإخوة من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله ، وكيف لايكون كذلك وقد قرن الله برهما بالتوحيد فقال تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) الإسراء : 23 بل هو من المواثيق التي أخذت على أهل الكتاب من قبلنا قال تعالى : (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لاتعبدون إلاالله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً) البقرة : 83 ، وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أكبر الكبائر الشرك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور) وها نحن نسمع بين الحين والآخر ، وللأسف من أبناء الإسلام من يزجر أمه وأباه ، أو يضربهما أو يقتلهما ، فما سبب انتشارهذه الجرائم ؟ السبب هو : تشبه المعرضين عن الله بصورة الشاب الغربي الذي يعيش وحده وليست له أي صلة تربطه بذي رحم أو قريب ، فيتأثر البعض بهذه المناظر فيحدث ما لاتحمد عقباه من العقوق ، قال ابن عباس البر : أن لايغلظ لهما في الجواب ، ولايرفع صوته عليهما خاصة

عند الكبر ، بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللاً لهما كما قال تعالى : (...إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ.....) ثم يقول تعالى : (وقل لهما قولاً كريماً) أي القول اللين الملئ بالعطف ما أمكن ثم يقول تعالى : (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي لاتكلمهما إلامع الاستكانة والتواضع مع تحمل ما يصدر منهما ، ثم بعد ذلك يطلب لهما الرحمة كما قال تعالى : (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) ، وكان أبو هريرة إذا أراد أن يخرج من دار أمه وقف على بابها فقال السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته ، فتقول وعليك يا بني السلام ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما ربيتيني صغيراً فتقول : ورحمك الله كما سررتني كبيراً ، فإذا أراد أن يدخل صنع مثل ذلك.

وكم نجد ونسمع من يلتمس رضا زوجته ويقدمه على رضا والديه ! إذا غضبت زوجته أصبح طوال يومين حزيناً كئيباً لايفرح بابتسامة ، ولايسّر بخبر ، حتى ترضى زوجته الميمونة ، وربما لو غضب عليه والداه كأن شيئاً لم يكن ، قرأت عن أحد بائعي الجواهر أنه ذكر قصة غريبة وصورة من صور العقوق يقول : دخل عليَّ رجل ومعه زوجته ، ومعهما عجوز تحمل ابنهما الصغير ، أخذ الزوج يضاحك زوجته ويعرض عليها أفخر أنواع المجوهرات يشتري لها ما تشتهي ، فلما أعجبها نوع من المجوهرات دفع الزوج المبلغ فقال له البائع : بقي ثمانون ريالاً ، = وكانت العجوز التي تحمل طفلهما قد رأت خاتما فأعجبها فأخذته = فقال : ولماذا الثمانون ريالا ؟ قال : هذه المرأة قد أخذت خاتماً ، فصرخ بأعلى صوته وقال : العجوز لاتحتاج إلى الذهب ، فألقت الأم الخاتم وانطلقت إلى السيارة تبكي من عقوق ولدها ، فعاتبته الزوجة قائلة : لماذا أغضبت أمك ؟ فمن يحمل ولدنا بعد اليوم ؟!! ذهب الابن إلى أمه وعرض عليها الخاتم فقالت : والله لن ألبس الذهب حتى أموت هذه صورة من صور العقوق ، وهناك صور أخرى تحدث كثيرا يدخل الزوج وهو يعيش مع والديه ، أو أن والديه يعيشان عنده يدخل البيت معبس الوجه مكفطب الجبين ، فإذا دخل غرفة نومه سمع الوالدان الضحكات تتعالى من وراء باب الحجرة ، أويدخل ومعه هدية لزوجته فيعطيها ويدع أمه ، هذا من عقوق الوالدين ، وفى المجتمع أمثلة أخرى كثيرة كل عاق يمارسها مع والديه .

فمن أحق بالبر ؟ المرأة التي هي سبب وجودك ، والتي حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وتألمت من حملك وكابدت آلام وضعك ، وأجهدتها حين أرضعتك لبنها ، وتألمت لألمك ، وسهرت لراحتك ، وحملت أذاك وهي راضية ، فعندما كبرت ورجت منك البر عققتها ، وبررت امرأة لم تعرفها إلا من سنة أو سنتين أو شهر أو شهرين ، ولذلك فقد استنكر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قول الإبن الذى اشتكى من أمه بقوله : إن أمى سيئة الخلق.....كذلك وجه الخطاب اللاذع إلى الولد الذى اشتكى من أبيه بأنه يأخذ ماله.....وكان من دعاء داوود عليه السلام قوله :

(اللهم إنى أعوذ بك من أربع : من امرأة تشيبنى من قبل وقت المشيب ، ومن ولد يكون عليَّ سيدا ومن جار سوء إن رأى حسنة كتمها وإن رأى سيئة أفشاها ، ومن مال يكون نعيما لغيرى ووبالا عليَّ)
فاتقوا الله عباد الله وبروا آباءكم وأمهاتكم وتذكروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا تعف نساؤكم) وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)